الشبـاب والعمـل الصناعـي فـي الجـزائـر (*)

جابي عبـد النـاصـر
ـ استاذ مكلف بالدروس معهد علم الاجتماع
ـ باحث في "CREAD"

1 ـ مقـدمـــة :

المواطن العربي، مواطن شاب بنسبة كبيرة، أنها الحقيقة الكبيرة التي لا يختلف عليها أثنان هذه الحقيقة التي تصبح أكثر مرارة اذا عرفنا أن هذا المواطن الشباب يشكو من الكثير من العـوائق وعلى رأسها انعدام الشغل، فى حين أن مستقبل العالم العربي متوقف على مدى العلاقة الايجابية التي لابد أن تتوفر بين هذه القوة البشرية الهائلة : الشباب وبين العمل.

اذن فورقتنا هذه تدرس من زاوية خاصة علاقة الشباب بالعمل الصناعي، تحديدا من خلال التجربة الجزائرية في ميدان التصنيع خلال السبعينات والثمانيات.

ومن الأسئلة التي تحاول هذه الورقة الاجابة عنها ـ على شكل فرضيات وبالتالي تساؤلات ـ تتعلق بمدى وجود ممارسات اجتماعية خاصة تميز العمال الشباب عن غيرهم من فئات العمر الأخرى وأهمية الاجابة عن هذا السؤال تكمن في سيطرة فئة الشباب في كثير من الصناعات والخدمات، فمعرفة هذه الممارسات الاجتماعية الخاصة التي قد تميز العامل الشاب، هو في جانب كبير منه، معـرفة للطبقة العاملة، والمصنع والعلاقات الاجتماعية التي ظهرت في القطاع الصناعي.

ان محاولة الاجابة عن هذا السؤال نعتقد أنها مهمة خاصة وأن هناك تناقضا كبيرا في الاجابة المعـطاة له لا على المستـوى الـوطني فقط بل حتى على المستـوى الـدولي، فالأدبيات السوسيولوجية التي تطرقت للموضوع حافلة بالصور المعطاه للعمل الشاب، هذه الصور التي تتراوح في بعض الأحيان من النقيض الى النقيض فهو عامل مهادن ولايعرف حتى كيفية الدفاع عن مصالحة لدى البعض، في حين نجده رمز للعامل المشاكس ومرورا بالآراء التي تنفي دور عامل السن في تحديد هذه الصفات.

من الأسئلة الفرعية التي ستحاول الاجابة عنها ـ على شكل فرضيات وتساؤلات أكثر من حقائق يقينية ـ ذات العلاقة بمصدر هذه السلوكات المرتبطة بالعامل الشباب (مطلبية أم لا) فهل تكتسب هذه السلوكات من قبل العامل في مكان العمل (المصنع في هذه الحالة) نتيجة لخصـوصيات موقع العمل أو قوة العمل أو علاقات العمل السائد في المصنع أم أن هذه

(*) في الأصـل هذه الدراسة قدمت لملتقى جامعة عنابة الدولي حول ظاهرة الشباب في المجتمعات العربية (مارس 90)

Achevé d'imprimer sur les presses de
l'OFFICE DES PUBLICATIONS UNIVERSITAIRES
1, Place Centrale - Ben-Aknoun - ALGER

الممارسات يأتي بها العامل الشاب من خارج المصنع وهي بالتالي ملتصقة به كفئة عمر لها خصائص اجتماعية وحتى نفسية معينة.

وبالتالي فان الشاب قد يعبر عن هذه الخصائص المرتبطة به داخل مكان العمل أو خارجه في محيط أوسع (حي، أسرة، مسجد، ملعب ... الخ).

والسؤال الهام الذي يطرح نفسه بحدة دون أن نجيب عنه لأنه أوسع من مقاصد بحثنا يتعلق بمدى تفضيل الشاب لمجال عن آخر للتعبير عن نفسه، فلماذا يختار مثلا العامل الشاب مكان العمل للتعبير عن طموحاته من مرحلة معينة وقد لايختار الشارع أو المسجد أو المعلب لماذا يختار في فترة تاريخية ما التعبير عن هذه الخصائص التي تميزه ـ التعبير النقابي أو السياسي أو الديني ـ انها أسئلة مهمة، لكن الاجابة عنها كما قلت ذلك ليست واردة هنا في هذا المجال خاصة وان الاجابة عن مثل هذه الأسئلة تتطلب رؤية ماكرو سوسيولوجية ضرورية ليس المجال هنا للخوض في تفاصيلها.

فيما يخص منهجية عرض هذه الورقة فأننا سنتطرق في البداية الى علاقة الشاب بالعمل، وبالتالي بالبطالة في الجزائر. لمعرفة نصيب الشاب من العمل ومكانته في العملية الانتاجية على أن نقوم بعد ذلك بتقديم بعض الدراسات الغربية (الفرنسية تحديدا) حول علاقة العمل والشباب وخصوصيات الممارسات العمالية الشابة في هذه المجتمعات، أي النقاش السوسيولوجي الذي يتم حول هذا الموضوع في هذه المجتمعات وكما سيلاحظ القارىء فقد تم هذا النقاش انطلاقا من دراسات ميدانية متنوعة ولم يتم كما هو الحال في الغالب في المجتمعات العربية، انطلاقا من ,,حقائق،، الحدس العام المنتشرة بكثرة لدى الباحثين العرب وأصحاب القرار والاعلام العربي أي النخبة العربية على العموم التي لازالت تتهرب من مواجهة الواقع الملموس لمجتمعاتها في الغالب الأعم.

بعد هذا التقديم سنحاول التطرق الى وضعية النقاش في الجزائر حول هذا الموضوع من قبل متخصصين في علم الاجتماع على الخصوص وكما سيلاحظ القارىء ذلك فقد كان النقاش في الغالب غير مقصود أي أننا لم نقم بدراسات محددة حول الموضوع بل أكتشفنا القضية شبه صدفة وبالتالي فان التركيز قد يكون قليلا حول موضوع الشباب والعمل ظمن هذه الدراسات.

وفي الأخير فأننا سنقوم بدورنا بإعطاء وجهة نظرنا حول الموضوع حيث نعتمد في ذلك نتائج بحث أولي أجري حول موضوع النزاعات العمالية في مركب السيارات الصناعية خلال فترة 84 ـ 85 حيث صادفنا نحن كذلك موضوع مكانة وخصوصية الممارسة العمالية الشابة.

وبما أن موضوع البحث الأصلي في ذلك الوقت لم يكن خصوصية هذه الممارسة العمالية عند العمال الشباب، فان النتائج التي سنقوم بتقديم جزء منها نقدمها على شكل فرضيات وتساؤلات أكثر من كونها حقائق واثباتات.

بقي نقول أن نتائج هذا البحث، ومهما كان مستوى صدقها هي التي سمحت لنا بوضع

فرضيات بحث أخر خصصناه لدراسة خصوصيات الممارسة العمالية الشابة في المصنع الجزائري هو في الطور الأخير من الانجاز.

في الجانب المنهجي دائما بقي لنا أن نقول أننا أعتمدنا أساسا كتقنيات على الأستمارة فقط، خاصة وأننا تطرقنا الى موضوع الاضرابات العمالية في فترة تاريخية من عمر الجزائر (84 ـ 85) لم يكن فيها من السهل التحدث بسهولة حول موضوع مثل هذا خاصة في مركب الشاحنات والسيارات الصناعية بالرويبة هذا المركب الذي قام عماله بأضرابات ذات خصوصية أكيدة في تلك الفترة (1) وغيرها من تاريخ الحركة العمالية الجزائرية.

بقي لنا أن نقول أخيرا أننا أعتمدنا في بحثنا هذا على عينة عشوائية من 120 عامل من عمال قطاع الميكانيك التي تعتقد أنها الأكثر تمثيلا لخصوصيات قطاع الصناعات الميكانيكية ظمن المركب.

2 ـ الشباب العمل . . . والبطلة :

ما هو نصيب الشباب من العمل في الجزائـر ؟

الدراسات القليلة التي تطرقت للموضوع تؤكد أن الشباب كفئة سن يشكو أكثر من غيره من البطالة من فئات العمر الأخرى، ففئة السن مثلا (25 سنة) كانت لا تمثل 9، 35 ٪ من الطلب الاجمالي على الشغل في حين قد أرتفعت هذه النسبة الى 42 ٪ في سنة 1982 (2).

وتأكيد لهذا فدراسة أخرى تؤكد أن بطالة الشباب هي القاعدة والعمل هو الأستثناء في الجزائـر (3) هذه الوضعية التي قد تستمر وتستفحل في المستقبل اذا عرفنا أن طموحات المخطط الجزائري المتفائلة ترى أن نسبة بطالة تتراوح بين 20 ـ 25 ٪ هي شيء مقبول ولابد من التعود عليه في أفاق جزائر 2000.

أننا قد لانحتاج الى الآرقام الاحصائية اذا كانت تكفي نتائج مشاهداتنا اليومية في مدننا وبالفعل فمدينة مثل الجزائر العاصمة بدأت في استرجاع أمجادها , , الكلونيالية، ، : دعارة، بطالة، تسول أطفال حفاة، يبيعون أي شيء، وبالتالي فلم تعد يفصلنا كثيرا.

على ظهـور الأطفـال ماسحي الأحـذية الـذين أعتـبرهم التيار الـوطني الجارف غداة الاستقلال من أهم رموز الاستعمار وتم القضاء على الظاهرة بسرعة من قبل حكومة أحمد بن بلا، فهاهم يعودون من جديد بعد ثلاثين سنة تقريبا من الاستقلال أنها احدى تحديات القدر.

ان هذه الصور اللاانسانية التي تعيشها كل مدن العالم الثالث تقريبا، قد أنتفت كلية في الجزائر خلال السبعينات خاصة وذلك بفضل العمل الكبير الجبار الذي قامت به المدرسة الجزائرية هذا الدور الذي بدأت هذه المنظومة المدرسية في رفض القيام به، مما جعلها تقوم بلفض مئات الالآف من الأطفال الى الشارع أي الى البطالة.

مع أختـلاف جوهري هو أن البطالة مثلها مثل غيرها من مظاهر الفقر الأخرى. لم تعد

تقبل بالسهولة كما كانت تقبل بها في السابق وكمثال فقط فان بطال الثمانيات، شاب شبه متعلم، ذو طموحات استهلاكية، مكبوتة من الصعب أروائها وبالتالي فأنه يعيش وضعية البطالة، وحتى نسبيا وضعية العمل الانتاجي كغبن كبيرا لحق به من وجهة نظره، خاصة بالنظر الى عملية الارتقاء الاجتماعي الشبه جماعية التي عرفها المجتمع، خاصة بعض الفئات منه والتي أصبح الأن في مقدورها منذ مدة التعبير بشتى الأشكال والوسائل عن غناها الفاحش هو الطابع الاستعراضي لممراساتها الاجتماعية في مجتمع متعود على التقية الاقتصادية حتى عند أغنيائه وذو نزعة قوية نحو المساواة والعدل الاجتماعي.

وبما أن أطفال وبنات هذه البرجوازية الجزائرية هم الذين كلفوا بهذه المهمة الاستعراضية لثروات العائلية بطريقة متهورة (4) فان أبنائهم هؤلاء هم الذين أصبحوا مقياس المستوى الاستهلاكي الخاص حتى لدى الشاب الريفي وخاصة الحضري مهما كان مستواه الاجتماعي هذا الشاب الذي وجد ضالته في السوق السوداء الذي أصبح هو محركها الأساسي خاصة في المدن بحيث أن ظاهرة السوق السوداء أصبحت من القوة لدرجة أن كثير من أسعار المواد الأساسية الاستهلاكية والخدمات أصبحت تقاس بأسعار هذه السوق التي بدأت في فرض منطقها الخاص على كل المجتمع.

هذه الفئة من الشباب لكن يمكن القول عنها أنها حققت طموحاتها الاستهلاكية (شقة، سيارة، نساء، سفر، . . . الخ).

من وراء السوق السوداء، على خلاف الأغلبية الساحقة من الشباب الذي لازال يعاني من مأساة البطالة والضياع (5) لدرجة أن الخطاب الرسمي أصبح لايضع فروقا كبيرة بين الآفات الاجتماعية والشباب فالتلفزيون مثلا في حملاته الاعلامية ضد الأفات الاجتماعية كان يجسدها في شاب المدن، فقد أنتقل الخطاب الرسمي من مرحلة الشباب ثروة الأمة ومستقبلها الى مرحلة أخرى : الشباب = آفة اجتماعية، خاصة وأن الحركة الجماهيرية التي عرفتها المدن (قسنطينة, سطيف، وهران، الجزائر العاصمة) كان محركها الأساسي وربما الوحيد هم الشباب، فبسرعة كبيرة ظهر الشباب الحضري خاصة على مسرح الحياة السياسية بتعبيراته الخاصة بالطبع والتي تتميز بالعنف (أحداث الملاعب مثلا في سنة 87 ـ 88) والجماهيرية كما تتميز بطرح براغماتي لهمومها (المطالبة بحق الحصول على منحة العملة الصعبة، السفر، . . . الخ) ونقدية أزاء الخطاب السياسي والنخبة الحاكمة.

مع العلم أن الخطاب الرسمي عندما بدأ في طرح مشاكل الشباب في المنصف الثاني من الثمانينات، كان المقصود خاصة شباب المدن من الجنس الذكر، رغم أن المعطيات الاحصائية تؤكد حقائق مختلفة فالبطالة كظاهرة تعيشها المرأة ـ مثل الرجل ويعيشها الريفي أكثر من الحضري.

فالدراسات الاحصائية (6) حول عمل الشباب تقول أنه كلما كان الشاب متعلما كلما كانت حظوظه في الحصول على عمل كبيرة فخريج الجامعة مثالا ينتظر أقل من سنة للحصول على أول عمل له، في حين أن هذه المدة قد تصل الـ 38 شهرا كمعدل بالنسبة للشباب الأمي.

أما بالنسبة للبنت فان حصولها على عمل أسهل من الفتى من مستواها التعليمى خاصة في الوسط الحضري (7).

نفس الشيء كذلك بالنسبة للشباب الحضري فحصوله على عمل يكون عاده أسهل أقل من الفتى الريفي من نفس المستوى التعليمى، وهذا ماتؤكده الاحصائيات الرسمية حول البطالة باختصار الشاب الريفى حظوظه في الحصول على عمل أكثر من الشباب الحضري والفتاة بصفة عامة من السهل عليها الحصول على عمل خاصة اذا كانت حضرية) ومتعلمة، حتى ولو كانت الجزائرية عادة لاتخرج لسوق العمل الا اذا كانت مؤهلة، مما جعل الجزائر ذات قوة عاملة نسوية أكثر تأهيلا مع قلتها من اليد العاملة المذكرة (8).

بالنسبة للقطاعات المستقبلة للشباب الذي يجد عمل نجد القطاعات الغير زراعية هي المستقبل الأول.

ففيما يخص المليوني منصب عمل (9) التي تم ايجادها خلال فترة (66 ـ 83) نجد أن الزراعة قد تقلصت نسبتها وهذا معناه أن القطاع الزراعي أصبح قطاعا منفرا لليد العاملة، على العكس نجد أن الصناعة قد أرتفعت حصتها من 4، 13 ٪ في 1976 الى 2، 20 ٪ في 1983، نفس الأرتفاع يشهده قطاع الأشغال العمومية والبناء حيث أزادات من 8 ٪ الى 8، 16 ٪ خلال نفس الفترة التاريخية.

أما قطاع الخدمات فقد حافظ على نسبة توظيف في حدود 20 ٪ خلال نفس الفترة.

معنى هذه الأرقام أن الشباب عادة، عندما يجد شغل فانه يجده في المناطق الحضرية أو شبه الحضرية في الصناعة أو الخدمات على العموم أي أنه لابد أن يهاجر من الريف اذا كان ريفيا.

والريفية هذه احدى الخاصيات الاجتماعية التي أثارت ولاتزال تثير الكثير من التساءلات خاصة عندما تحاول بعض الفرضيات جعلها منطلقا لتفسير الكثير من القضايا.

النقطة الثانية المهمة والتي يمكنا استخلاصها من عملية التصنيع الكبير، نسبيا التي عرفتها الجزائر، وخاصة من خلال آثارها الاجتماعية (عملية تكوين طبقة عاملة تمت في هذه الفترة التاريخية : بداية السبعينات) أن هؤلاء الوافدون الجدد قد أثروا على تكوين هذه الطبقة العاملة، خاصة وان أعدادهم كانت كبيرة، بحيث لانجانب الحقيقة اذا قلنا أن هؤلاء الشباب قد أعطوا ميزاتهم الى هذه الطبقة العاملة، النقطة التالية تتعلق بالظرف الاقتصادي والاجتماعي والسياسي العام الذي تمت فيه هذه العملية ومدى تأثيره على عملية التكوين لهذه الطبقة الاجتماعية التي أخذت في التوسع، فنوعية نظام الحكم السياسي لابد أن تؤثر على عملية اجتماعية هامة ومعقدة مثل هذه آثار المنظومة) المدرسية، القيم التي أنتجتها ودافعت عنها، الحركة النقابية ضعفها في هذه الحالة ومدى معايشتها لهذه العملية، كما لاننسى أن هناك فئات اجتماعية أخرى قد عرفت النور وتوسعت قاعدتها في هذه الفترة وعلى رأس هذه الفئات مايسمى بالاطارات المسيرة للاقتصاد الوطني... اذن كل هذه العوامل الكلية والجزئية الاقتصادية والسياسية هي التي تمثل الاطار العام لدراستنا حول خصوصية الممارسات العمالية الشابة.

وبما أن هناك تواصل علمي لابد من المحافظة عليه وان هناك تجربة انسانية لابد التعرف على أساسها تتطرق الآن الى الكيفيات التي درست بها الادبيات السوسيولوجية في الميدان الصناعي لهذه الظاهرة على أن نعود الى الجزائر لمعرفة كيفيات تطرق الفكر السوسيولوجي الجنيني لنفس الظاهرة.

3 ـ العامل الشاب . . . هل هو المشوش الوحيد ؟

الدراسات الفرنسية التي سنحاول تقديم أهم نتائجها أنطلقت من هذا التساؤل، هل يتميز العامل الشاب عن غيره من الفئات العمالية بخصوصية ممارسته ؟ الجواب بالطبع من هذا السؤال لم تكن واحدة، فالبحوث (10) التي أنطلقت من هذا التساؤل حول ماسمته هي الفعل النقدي الغير مهيكل الذي يتم عادة خارج الأطر المتعارف عليها (النقابية مثالا) حاولت في البداية ربطه مما سمته بغياب التقاليد الصناعية لدى هذه الفئات العمالية مما يجعلها تلجأ الى هذه الأساليب الماقبل صناعية، التي تبرز خاصة، وان هذه الفئات العمالية ذات أصول ريفية ولاتجد العناية الكافية من النقابات الفرنسية ذات التقاليد الصناعية، والتي تفضل الاهتمام بالفئات العمالية المؤهلة تقنيا، وذات التجربة الصناعية لذا ترى هذه الفرضية أن كل عملية تصنيع قوية تفرز بالضرورة هذا النوع من الممارسات الاجتماعية التي تتميز بالحدة والعنف (11).

وبما أن مصير كل فرضية هو القبول النسبي وبالتالي الرفض النسبي فقد تعرضت هذه الفرضية الى محاولات الرد عليها من قبل باحثين آخرين (12) يرون أنه بالعكس فالعمال ذوي الأصول الريفية هم الأكثر انظباطا والأقل اندماجا في عالم المؤسسة الصناعية لأنهم يفكرون أكثر في قطعة الأرض التي يملكونها أكثر من أهتمامهم بالعمل في المصنع، وبالتالي فأننا نجدهم أكثر انصياعا للاوامر وأكثر أحتراما لهرمية عالم غريب عنهم (العالم الصناعي)، هذا الخنوع الذي ترى هذه الدراسة انه من شيم وخصال العالم الريفي، وعلى العكس من ذلك تماما نجد أن العمال ذوي الأصول العمالية هم الأكثر لجوءا الى الممارسات النقدية الغير مهيكلة، والخلاصة التي تخرج بها هذه الدراسة هي أن اللجوء الى الممارسات النقدية يتوقف على المشروع المهني للعمال أنفسهم فاذا كان العامل يعتقد أن مستقبله المهني مرتبط بالمؤسسة الصناعية فأنه في هذه الحالة يكون أكثر اهتماما بالعمل الصناعي وبالتالي قد يصبح أكثر نقدية، أما اذا كان يرى أن مستقبله المهني سيتحقق خارج العمل الصناعي فانه في هذه الحالة يكون أكثر سلبية وأكثر خضوعا وبالتالي أقل نقدية، وذلك مهما كان الأصل الاجتماعي للعامل (ريفيأم حضري) أو سنه، وهو ما يهمنا أكثر.

كنتيجة لهذه الدراسات الميدانية الكثيرة والتنوعة التي أهتمت بهذه المواضيع في هذه الفترة، بداية السبعينات، خاصة هذه الفترة التي تميزت ببداية التخلص من الايديولوجيات الكبرى (الماركسية خصوصا) على مستوى البحث العلمي السوسيولوجي والتي تم التعبير عنها بالتوجه نحو البحث الميداني واعادة الاعتبار للبحوث الكمية الميدانية التى كانت تأخذ منها المدرسة الفرنسية السوسيولوجية خاصة موقفا عدائيا متهمة أياها بالامبريقاوية وبالتالي اللاعلمية.

اذ نتيجة لهذه البحوث الجديدة الكثيرة، ظهرت أطروحة أوسع لأنها حاولت أن تشمل أكثر من فئة مهنية في علاقتها بالممارسات النقدية الغير مهيكلة ـ فهي ترى أن هناك علاقة

قوية بين الفعل النقدي وبعض الفئات العمالية (الشباب، النساء، المهاجرين) التي تعبر عن رفضها لقيم العمل الصناعي والبحث عن المهن الحرة الصغيرة، كما تتميز هذه الفئات بعدم الاكتراث كثيرا بمستقبلها المهني الذي يظهر من خلال إرتفاع نسب تغيبها عن العمل، حراكها المهني الكبير . . . الخ (13).

وأخيرا فأن هذه الفئات تتميز بممارستها المطلبية الكبيرة كذلك في مكان العمل. أخيرا نرى أن الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع قد وصلت مستوى تنظيري كبير وكمثال عن هذه أطروحة PIERRE DU BOIS (14) التي يرى من خلالها أن الموقف النقدي يتواجد أكثر عندما تكون اليد العاملة متجانسة ويقل عندما تكون غير متجانسة فالتجانس يجعل التناقضات، بين الفئات المهنية قليلة، وبالتالي يكون تركيزها على المطالبة، في حين يكون الاهتمام أكثر بالتناقضات الداخلية بين الفئات العمالية عندما يقل تجانسها الاجتماعي (كبار صغار في السن، نساء، رجال، مؤهلين غير مؤهلين).

حتى الآن الدراسات التي تكلمت عن علاقة بعض الفئات المهنية بالممارسات النقدية تكلمت عن ذلك في المطلق، لكن هناك من الدراسات (15) من حاول التخصص أكثر وعلى سبيل المثال فقط فيما يخص الموضوع الذي يهمنا حاولت هذه الدراسة النظرة الى مكانة العمال الشباب ظمن الفعل النقدي نفسه (الاضراب العمالي كمثال) وهل يتميزون عن غيرهم من فئات السن بخصوصيات معنية تجعلهم مثلا أكثر نقدية/أو أقل من رفاقهم الآخرين.

من النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة وذات العلاقة بالحركة العمالية الفرنسية وخصوصياتها السوسيولوجية في تلك الفترة (1871 ـ 1890) أن العمال الشباب (16) يحتلون موضع المحرضين في الاضرابات والتالي فانهم يقودون الحركة العمالية الفرنسية في تلك الفترة خاصة اذا عرفنا أنها كانت تتميز بضعف تنظيمي وهيكلي، وحاولت الباحثة ايجاد تفسير لهذه الظاهرة فقالت أن هذا الموقع الخاص للعامل الشاب ضمن الفعل النقدي يمكن تفسيره بقدرة الشباب على العطاء والتضحية، فالشاب لايتخوف كثيرا على مستقبله المهني كما أن عزوبيته تجعله تحت تصرف الحركة العمالية والعمل الجماهيري على خلاف العامل الكبير في السن المقيد اجتماعيا من قبل الالتزامات العائلية.

الا أن الباحثة تظيف أن هذه القيادة للحركة العمالية من قبل العامل الشاب ليست دائمة فهي أيسر في المهن ذات التأهيل الضعيف وبالتالي الهرمية الضعيفة في حين أن المهن ذات التأهل العالي والهرمية القوية لاتقبل بسهولة بقيادة العامل الشاب لها، فعامل الوقت هنا له أهميته، كما أن تأهيل اليد العاملة في هذه المهن يجعلها أكثر تقليدية وتحفظ أزاء الشباب.

4 ـ العامل الشاب في البحث السوسيولوجي في الجزائر.

سيلاحظ القاريء معنا أن عدم الاتفاق في النتائج التي توصلت لها الدراسات الغربية حول امكانية وجود ممارسات أكثر نقدية خاصة تميز العامل الشاب عن غيره من الفئات العمالية الأخرى نجده كذلك لدى الباحثين الجزائريين القلائل الذين تطرقوا لهذا الموضوع بصفة غير مباشرة في الغالب.

من ذلك مثلا أن أحد الباحثين (17) يقسم الفئات العملية الى فئتين رئيسيتين الأولى وهي الفئة المركزية وهي تتكون من العمال القدماء والكبار في السن والذين يمتلكون تجربة مهنية صناعية قبل الاستقلال وبالتالي فان هذه الفئة أقلية كميا بالمقارنة مع الفئة التالية التي يمثلها العامل الشائع .

وكما يلاحظ القارىء ذلك فان التقسيم الذي يقترحه فريد يعتمد على السن كثيرا لأننا أمام فئتي عمر مختلفتين في الكثير من الصفات والممارسات، من ذلك مثلا أن العامل الشائع وهو ممثل الطبقة العاملة الحديثة، بنت الاستقلال، يملك علاقة أداتية بحتة مع العمل الصناعي، يحدثنا عنها الباحث قائلا : العمال يدخلون مع المصنع في علاقات أداتية صرفة، يتم بموجبها تبادل معين، فالعمال يقدمون نصيبا من وقتهم في مقابل مبلغ مالي معين، فلا يبدوا انهم قد تكون لديهم مشروع جماعي يستهدف التحول الاجتماعي انطلاقا من المصنع ولايبدو كذلك أن المشروع الفردى ذاته موجود عندهم وجودا أكيدا، ربما لأن هذا المشروع أو هذا الأمل الفردى قد تجسد فعلا في الماضي القريب وهو قد تمثل في هجرة الأرض وفي ايجاد عمل ومرتب ثابتين في القطاع الصناعي (18).

ويستنتج الباحث من هذه الصورة الدقيقة اننا بعيدين كل البعد عن , ,الموقف والطروحات الكلاسيكية التي ترى في العمل الصناعي قاعدة ترتفع عليها هوية جديدة وثقافية جديدة، ، (19) وحتي يكون الصورة أكثر وضوحا نترك الباحث يعرفنا على هذا العمل الشائع , ,فهو عادة عامل شاب وفي غالب الأحيان من أصل ريفي، وحتى فلاحي وهو مازال يحافظ على ارتباطات مع عالمه الأصلي، حيث يوجد في أحيان كثيرة مقر سكناه، كما أنه ملم ـ الى حدما ـ بمبادىء الكتابة والقراءة بالعربية وحامل العناصر ثقافة يرتبها وينظمها فهم مبسط ـ للاسلام، هو كذلك يجهل تماما قواعد اللعبة المعمول بها في المؤسسة الصناعية وعلى الخصوص الأشكال العصرية والمؤسساتية في المقاومة والمطالبة، ولذا فهو يفاجيء بسلوك سلبي وبخضوع مبالغ فيه حتى يكاد المرء ينسى وجوده داخل الورشة، ولكنه يفاجيء أكثر بأفعال التحركات مباغته منهلة، فيمس الاطار في يقينه ويشكل سوسيولوجي العمل في عمل، ، (20).

أنها صورة واضحة المعالم يحددها لنا الباحث للجزء الكبير من الطبقة العاملة الجزائرية التي تكونت بعد الاستقلال، فهل هي الصورة المتفق عليها بين الباحثين القلائل الذين أهتموا بالموضوع ؟ الجواب بالنفي في الكثير من الجوانب مع وجود نقاط التقاء طبعا .

من ذلك مثلا التقسيم القريب الذى يقترحه سعيد شيخي (21) للطبقة العاملة الجزائرية، فهي تتكون حسب رأيه من نواه مركزية ذات تجربة مهنية اكتسبتها قبل الاستقلال وهي الطبقة العاملة القديمة وبالطبع تكون الآن أقلية نظرا الترقية الاجتماعية التى عرفتها، مما جعلها تغادر مواقفها العمالية، وطبقة عاملة حديثة تكون أغلبية الطبقة العاملة الحديثة .

الاختلاف يظهر أكثر مع الرؤية الأولى عندما يرى , ,شيخي، ، أن الطبقة العاملة الحديثة لايمكن وصفها في الجانب الكبير منها كأنها ذات أصول ريفية فالعنصر الحضري

وحتى الصناعي بدأ يتغلب فيها على حساب العنصر الفلاحي أو الريفي فصورة العامل الفلاح كما يرى الباحث لابد من اعادة النظر فيها (22).

اذن فنحن أمام فرضيتين مختلفتين حول الجذور الاجتماعية لأهم جزء من الطبقة العاملة الجزائرية الحديثة، فهناك من يرى أنها ريفية وحتى فلاحية ولازالت مرتبطة بعالمها الريفي - قريد وعلى العكس هناك من يرى بأنها حضرية في الغالب وحتى صناعية ولايخفي على القارىء أهمية هذا الاختلاف، خاصة وأن الباحثين يعطيان أهمية كبرى للاصول الاجتماعية لتحديد مواقع وممارسات العامل الصناعي.

تقسيم قريب آخر، لكنه يعتمد على التقسيم القانوني يقترحه باحث آخر (23) فهناك الفئات الهامشية التي تعمل في القطاع الخاص، والتي تتميز بعدة خصائص من ظمنها.

صغر سنها بالمقارنة مع عمال القطاع العمومي، وترحالها المهني، مما يجعلها دائمة التجديد، وظروف عملها الصعبة (عدم احترام ظروف العمل مثلا) ولذا فان هذه الفئات ترى أنها على هامش الطبقة العاملة المتواجدة في القطاع، وهي بالتالي التي تنظر لعملها في القطاع الخاص كمرحلة فقط في انتظار الانتقال للعمل في القطاع العام.

اذن فكما هو ملاحظ فالدراسات القليلة هذه التي حاولت القيام بسوسيولوجية العامل الجزائري ليست متفقة في الكثير من الآراء مما يجعلنا نقول أن هناك قضايا هامة لم يفصل فيها حتى الآن وبما أننا لاننوي القيام بذلك فأننا سنحاول فيما تبقى من هذه الدراسة، مناقشة هذه الأفكار التي وجدناها لدى هؤلاء الباحثين مقترحين بعض الفرضيات كمساهمة منا في اثراء النقاش حول هذه القضايا التى يعتقد أنها هامة على أكثر من صعيد - هي هامة بالنسبة للبحيث النظرى كما هي هامة كذلك بالنسبة للسياسي أو النقابي أو الصناعي.

5 - العامل الشاب . . . قائد للحركة العمالية ؟

بعد أن تعرفنا على واقع الدراسات الغربية والجزائرية حول القضية المتعلقة بمدى حصوصية الممارسات العمالية الشابة، نحاول الآن ابداء رأينا حول الموضوع وحتى لانضيع متاهات منهجية غير ضرورية نقول أننا ننطلق من فرضية مفادها أن العامل الشاب في مركب الشاحنات، برويبة يتميز عن غيره من الفئات العمالية الأخرى بممارسات نقدية بارزة ليس هذا فقط بل ندعى أن العامل الشاب في الجزائر - وهو الذي يكون أغلبية الطبقة العاملة التي تكونت بعد الاستقلال السبعينات خاصة - هو عامل نقدي وتقسم سلوكاته بنقدية كبيرة بل يمكن أن نعمم لك لنقول أن الحركة الاجتماعية الجماهيرية الواسعة التي عرفتها الجزائرية ابتداء من الثمانينات أحتل فيها الشباب مركزا متميزا وكانت تحت قيادته في الكثير من الأحيان، حتى أن كل الملاحظين قد ربطوا ربطا أكيدا بين الشباب وهذه الحركة الجماهيرية ؟ سطيف، قسنطينة 86 والجزائر 88 اذا أكتفينا بهذه الأمثلة.

كما أن أماكن تواجد الشباب أصبحت أماكن أكثر غليانا من الناحية الاجتماعية (الملاعب، المساجد، الأحياء).

وبما أنه ليس في نيتنا التطرق لموضوع نقدية الشباب في الجزائر بصفة عامة فاننا نكتفي بالشباب العامل هنا.
ولعل أول سؤال يتعلق بكيفية البرهنة على فرضيتنا هذه المتعلقة بنقدية العامل الشاب.

اذا أفترضنا أن عملية التصنيع التي تمت ابتداء من نهاية الستينات حتى بداية الثمانينات قد أستعملت أساسا يد عاملة شابة، فاننا نستطيع أن نقول دون أن نجانب الصواب أن الطبقة العاملة هذه أول صفة تتصف بها والباحثون الجزائريون الذين ذكرناهم متفقون على ذلك ـ هي أن طبقة عاملة شابة، فهل تأثرت الحركة المطلبية العمالية في الجزائر من خلال سيطرة العنصر الشاب هذه ؟ بصفة أخرى اذا كان العنصر الشاب هو المسيطر على الطبقة العاملة منذ السبعينات خاصة فهل أثر ذلك على مطلبية الحركة العمالية ؟.

الدراسات التي أجريت حول هذا الموضوع، تؤكد الحركة العمالية المطلبية قد عرفت تعبيرات جوهرية تذكر من بينها مايلي :
ففي هذه الفترة ـ السبعينات ـ عرفت الحركة العمالية المطلبية تغيرا كيما كبيرا، بحيث أنه ابتداء من نهاية النصف الأول من السبعينات تجاوزت النزعات الآلف نزاع، في حين أنها كانت في الستينات لاتتجاوز المئة الواحدة (72 تراع في 69 ـ 99 في 1970 (25) باختصار قفد عرفت الحكة المطلبية تطورا كميا كبيرا.
. ألايمكن ارجاع هذا التضخم الكمي ـ ولو جزئيا ـ الى توافد هذه الأعداد الكبيرة من العمال الشباب والتحاقها بصفوف الطبقة العاملة ؟.

من جملة التغيرات النوعية هذه المرة التي عرفتها الحركة العمالية المطلبية في هذه الفترة هو أنتقالها من التذمر الى الاضراب كشكل رئيسي للمطالبة، فالعمال أختلفوا في أشكالهم المطلبية من التذمر هو مجموع الأشكال الفردية والجماعية التي يعبر بها العمال عن تذمرهم دون آن يصل ذلك الى التوقف عن العمل ـ الى الاضراب وبالفعل فقد كانت 1978 هي نسبة هذا التحول النوعي في المطالبة (26) فلأول مرة يلجأ العمال أكثر الى الاضرابات (48، 59 ٪ من النزاعات العمالية أخذت شكل اضرابات.

اذن فنحن أمام تطور نوعي في أشكال المطلبية العمالية، لانعتقد أنه غريب عن الخصائص البشرية السوسيولوجية لليد العاملة المكونة للطبقة العاملة خاصة وأن هذه الخاصية النوعية ـ المطالبة أكثر عن طريق الاضراب وهو تجذر أكيد في الحركة العمالية ـ لم تغادرها منذ ذلك الوقت أي أصبح خاصية كامنة لدى الحركة العمالية المطلبية. من جملة التحولات التي عرفتها الحرة العمالية على المستوى الوطني والذي تكلم عنها بصفة أخرى أحد الباحثين الذين تكلمنا عنهم ـ جيلالي اليابس ـ هو أنتقال مركز قيادة الحركة العمالية من القطاع الخاص الى عمال القطاع العام، وقد حدث هذا الانتقال كذلك في هذه الفترة ـ (1980) ـ لأول سجلت نسبة اضرابات إثر في القطاع العام عنه في القطاع الخاص 17، 52 ٪ (27) هذا التحول الذي كان نهائيا لأنه كذلك أصبح من مستقرات الأمور وهومؤ شر نهم ظمن فرضيتنا، فالعمال الشباب ينقلهم مكان المطالبة الاجتماعية الى المصنع الاشتراكي، بدل المصنع الرأسمالي يغبرون عم سخط اجتماعي ازاء الكثير من الأمور

المتعارف عليها، فالقيام اضراب فى القطاع الاشتراكي القاعدة المادية لبناء الأستراكية، عند البعض ـ يحمل من الرموز والتعابير الكثير، فهو نوع من أنواع التعبير عن السخط والرفض للواقع الموجود.

رفض لهذه التحولات الاجتماعية التى لم تكن دائما فى صالح الشاب وبالمستوى الذي يرضاه لنفسه، فالشاب يرى في تحوله الى عامل المصنع هنا رمز هذا التحول الاجتماعي وأداته، نوع من أنواع الظلم الاجتماعي لأن استفادته الوحيدة من هذه التحولات الاجتماعية والقتصادية المربوطة هنا بالاستقلال، تحوله الى عامل اذن من هنا جاء رفض الشاب لموقفه الجديد ـ موقع العامل ـ الذى يرى فيه اذلالا واناقاصا من قيمة خاصة بالمقارنة مع مااستفاده الآخرين من امتيازات.

هذا الاحساس الاجتماعي بالغبن الذي حس به الشاب المتحول الى عامل يزداد أكثر اذا عرفنا أنه عامل متعلم ونسبيا حضريا أي أنه كان يملك أمكانيات تؤهله لاستفاد أكثر من هذه التحولات التى حصلت أمام عينيه لكنه لم يستفد، اذن فسيعبر عن رفضه لواقعة الجديد في مكان رمزى وهو المصنع التابع للدولة ونقل النضالات التي يقوم بها في هذا المكان كل دلالاتها النقدية السياسية من زاوية الاؤية هذه.

هذه النقدية التى عبر عنها العامل الشاب رمز الطبقة العاملة الجديدة بالاهتمام بالمطلبة الكمية ـ الآجور التى أخذت حيزات كبيرا على حياب المطالب الاجتماعية الأخرى أكثر من 60 ٪ من مجموع مطالب العامل الجزائرى في هذه الفترة تتعلق بالأجور (28) و هو ماتؤكد النظرة الاداتية التى عبر عنها البعض ازاء العمل الصناعى بالعامل الشاب غيرمهتم الا بالجانب النقدى لعمله وهو مايؤكد عدم اكتراثه وسلبيته ازاء مكونات وشروط العمل الأخرى.

ان هذا العامل الشاب قد عبر عن مطلبيته هذه فى فترة كانت تمتاز الحركة النقابية بالشلل الشبه الكلي، لأن كل النضلات التي قامت بها الحركة العمالية كانت خارج الأثر النقابية وهنا يأتي دورا آخر للعامل الشاب، اذى أحتل قيادة هذه الحركة العمالية بحيث أن أغلبية التقرير الرسمية أستطعنا الحصول عليها حول الاضرابات العمالية والحركة المطلبية بصفة عامة تؤكد على هذا المعطى : العمال الشباب هم الذين يقودون هذه الحركة المطلبية في غياب التنظيم النقابي العمالي هذه التجربة هى التى أدت الى ظهور نوع من القيادة النقابية عبرت عن نفسها بعد أحداث أكتوبر 88 وكان من خصائصها الملفتة للانتباه صغر سنها اذن فقد بدأت الحركة العمالية في الاعتراف الرسمي بالقيادة الشابة التى برهنت على ذلك خلال فترة ماقبل أكتوبر.

هذه الملاحظات المتعلقة بالوضع العام والتي قمت بسردها على المستوى الوطني هل يمكن التأكد منها ميدانيا محاول القيام بذلك على مستوى مركب الشاحنات والسيارات الصناعية التى قمنا فيه بعدة بحوث حول موضوع علاقات العمل بصفة عامة.

لعل أول أعتراض كمنهجي فقد يعترض به على الاتجاهات العامة التي عرفتها الحركة العمالية المطلبية والتي أرجعناها نحن جزائيا على الأقل الى دور العامل الشاب، هو عدم امكانية

التحقق منها ميدانيا، أي يبق فقط اتجاهات عامة صالحة لأي تأويل وللحض الادعاء نحاول التحقق من فرضيتنا على مستوى مركب الويبة هذا المركب الذى زرناه عدة مرات بمناسبة مختلفة (لاجراء بحوث أثناء اضرابات وجمعيات عامة) حيث لاحضنا من خلال المقابلات خاصة التي أجريناها مع مختلف الأطراف الاجتماعية (اداريين، عمال، نقابيين) التركيز على دور العمال الشباب في الحركة المطلبية الكبير - التي عرفها المركب خلال نهاية السبعينات وبداية الثمانينات (53، 53 ٪ من مجموع العمال البالغين حوالي 10،000 عامل في 85 كانت أعمارهم تقل من 30 سنة (29) وكانت نتائج هذه المقابلات بالطبع تؤكد على دور هذه الخاصية في الحركة الاجتماعية التي يعرفها المركب (30)، للتحقيق من هذه الفرضية حاولنا أن نعرف اذا كانت أماكن العمل التي تعرف بصغر سن عمالها أكثر من غيرها ظمن المركب، تؤكد ذلك، وهو الذي تأكد لدينا فعمارة الميكانيك مثلا التي تعرف بصغر سن عمالها تعرف اضرابات أكثر من غيرها من العمارات الأخرى.

وبما أن العامل لايعبر عن مطلبيته بالاضرابات فقط بل قد يعبر عنها بأشكال أخرى، قد لاحظنا مثلا أن المركب كان يشكو من الكثير من المظاهر النقدية الأخرى (الحراك الاجتماعي - التغيب - حالات التأديب) والتي أرتبطت بفئة العمال الشباب أكثر، فمن خلال الدراسات التي قامت بها مديرية المركب، فان المتغب المثالي هو شاب عامل انتاج يقل عملاخ من 30 سنة.

نفس الشيء فالعامل المشاكس الذي تشتغل معه لجان التأديب فهو عامل شاب بنسبة كبيرة (31).

ليس هذا فقط فاثناء الاضرابات الكبيرة التي عرفها المركب وأخذه كمثال اضراب 5 سبتمبر 1982 كان مناسبة للعمال الشباب للتعبير عن نقديتهم ومطلبتهم الكبيرة وسيرورة الاضراب تؤكد ذلك (32).

فاندلاع الاضراب كان للعمال الشباب دور كبير فيه فالعمال الشباب هم الذين يغادرون أماكن عملهم لابلغ رفاقهم الآخرين فاندلاع الاضراب خاصة وأن المركب كبيرا جدا من حيث مساحته ولاتوجد منظمة نقابية وراء الاضراب يمكن أن تقوم بهذا الدور والتي تبتهن أن الأغلبية الساحقة من العمال (حوالي 200 عامل ظمن هذه القوائم السوداء) كانوا عمال شباب.

نفس الشيء أثناء الجمعيات العامة، أثناء الاضرابات فتدخلات العمال الشباب هي الغالبة خاصة وأن الكلام في مثل هذه المناسبات ليس بالأمر الهين في ذلك الوقت، ليس هذا فقط أن بعض الوثائق تتكلم أن أغلبية الاضرابات التي حصلت في المركب كان يخطط لها مرقد العمال الغير متزوجين الي منح لهم كحل جزئي لمشكل السكن الذين يعانونه، فأصبح مكان لانطلاق الاضرابات العماية وتنظيمها.

كما أن اللجان العمالية التي تتكون أثناء الاضرابات للتفاوض مع الادارة، يكون العنصر الشاب هو الغالب فيها.

كما أن الاضرابات تكون فرصة ليعبر الشباب عن بعض ممارساتهم الخصوصية من ذلك مثلا أن أغلبية أعمال العنف التي تشهدها الاضرابات وهي قليلة وتتمحور خاصة في عمليات اخلاء مكاتب الاداريين من موظفيها أي فرض الاضراب عليهم، المتسبب فيها العامل الشاب.

اذن هذه المؤشرات اتي أخذناها تؤكد بطريقة شبه أكيدة أن العامل الشاب له ممارسات خاصة تتسم بنقدية أكثر يعبر عنها بأشكال مختلفة، وهنا لابد أن تأتي الى التساؤل الثاني من فرضياتنا والمتعلق بمصدر هذه النقدية فهل هذه النقدية الخاصة هي تعبير عن وضع خاص في مكان العمل كأن تكون مثلا ظروف عمل العامل الشباب أكثر سوءا تجعله أكثر نقدية أو أن مصدر هذه النقدية خارج مكان العمل وهنا لابد من محاولة تحديدها أكثر.

التأكد من هذه الفكرة تحاول الآن التعرف عن قرب عن العامل الشاب في المركب وعن ظروف عمله خاصة في مكان عمله لعلنا نجد تفسيرا لهذه النقدية التي تكلمنا عنها لكن قبل القيام بذلك علينا بالتعرف على العامل الشاب خاصة وأن هناك عدم اتفاق حول الموضوع لاحظناه لدى الباحثين الجزائريين الذين تحدثوا عن الموضوع فهناك من يصر على ريفية العامل في حين نجد من يدعي حضريته.

6 ـ من هو العامل الشاب ؟

الدراسة الكمية هنا ضرورية لمحاولة الاجابة عن الأسئلة المتعلقة بجذور العامل وخاصة العامل الشاب الذي يهمنا نحن هنا في هذه الدراسة.

فمن مجموع 120 عامل سألناهم عن مهنة الجد والأب والمأخوذة كموشر عن الجذور الاجتماعية للعمال، تبين لنا بالنسبة لمهنة الجد أن الأغلبية الساحقة ذو جذور فلاحية (148، 81) في حين أن ذوي الجذور التجارية والحرفية لايتعدون 18، 10 ٪ في حين أن أقلية بسيطة ذات جذور عمالية (40، 7 ٪).

أن ادخال عامل السن على هذه المعطيات الكمية الكلية تبين لنا بوضوح أن العمال الشباب هم الذين يسيطر لديهم الجذور التجارية، الحرفية والعمالية في حين تقل لديهم الجذور الفلاحية وهذا ربما يكون شيء عادي نتيجة لصغر سنهم، هي نتيجة منطقة للتحولات الاقتصادية والاجتماعية العميقة التي عرفتها الجزائر.

هذه التحولات التي تبدو من خلال المعلومات الكمية المتعلقة بجذور العمال من ذلك مثلا أن نسبة الأصل الريفي خلال جيل واحد، أنتقلت من 81 الى 40 ٪ لدى الأب كمهنة في حين أرتفعت نسبة العمال ذوي الجذور العالية من 40، 7 ٪ الى 99، 49 ٪ مع أتقرار في نسبة العمال ذوي الجذور التجارية الحرفية، ادخال عامل السن لايغير من المعطيات في شيء فهناك تمركز العمال الصغار في الوسط العمالي والتجاري الحرفي، يقابله تمركز في الوسط الفلاحي لدى العمال الكبار.

ان هذه المعطيات تؤكد أن الطبقة العاملة في الجزائر لازالت ذات أصلين اجتماعيين أصلا ريفيا، وآخر عماليا، لكن الاعتقاد السائد هو أنه مع الوقت فأن الأصل العمالي هو المدعو

للسيطرة، وستدخل العاملة في مرحلة اعادة انتاج نفسها من داخل اذا صح هذا التعبير. وقد لاتحتاج الى فئات أخرى الا قليلا خاصة مع ظروف الأزمة الاقتصادية التي تعرفها الجزائر والتي أدت الى توقيف عمليات الاستثمار الانتاجي.

وربما الأصل المزدوج (فلاحي - عمالي) هو الذي جعل كل باحث لاينظر الا لجزء من الحقيقة.

في اطار التعرف على العامل الشاب نتطرق الآن الى مستواه التعليمي وحتى لانطيل على القارىء بالأرقم الكمية نقول أن نسبة الأمية في الوسط العمالي أقامن الأمية على المستوى الوطني الاجمالي (66، 36 ٪ فقط من العمال أميون) وأن هذه الأمية منتشرة أكثر لدى العمال الكبار في السن حتى أننا نستطيع القول أن هناك علاقة وطيدة بين السن والمستوى التعليمي فكلما ارتفع السن أنخفض مستوى التعليم، وكلما أنخفض سن العمال كلما ارتفع مستواهم التعليمي.

لانعتقد بدورنا أن هذه النتيجة يمكن اعتبارها شيئا مألوف اذا عرفنا دور المدرسة الجزائرية الكمي خاصة الذي قامت به بعد الأستقلال والسياسة الاستعمارية التجهيلية الاستعمارية، خاصة في الريف، مصدر انتاج الفئات العمالية الكبيرة في السن وبالتالي الأمية أو ذات المستوى التعليمي المنخفض لكن مايهمنا هو الأستعمال الاجتماعي لهذه المعرفة.

ففيما يخص اللغة العربية مثلا لاحضنا أن نسبة من العمال الكبار وحتى الصغار في السن، تحسنها، وتستطيع أن تكون قاعدة انطلاق لتحسين مستواها أكثر لكن يبدو أن المصنع الجزائري ومن ورائه الفئات الادارية المسيرة، ذات التكوين المفرنس عموما، لاتعترف بالعربية كلغة، فالالمام بالعربية لايخرج لصاحبها من دائرة الأمية، وحتى العمال عندما قمنا معهم بمقابلات كان يصرحون بأنهم أميون لكن مع المناقشة نتبين أنهم يملكون مستوى معين في اللغة العربية لكنهم مع ذلك يصرحون بأنهم أميون لايعرفون القراءة والكتابة لأنهم هم كذلك أقتنعوا من أراء عدم استعمالها ربما أن العربية ليست لغة، في حين أن البعض منهم قد صرح لنا أن مستواهم هذا بالعربية كان يؤخذ بعين الاعتبار في المهجر ولايعتبرهم المصنع والاطار الفرنسي أميون.

دائما في اطار الأستعمال الاجتماعي لهذا المستوى العملي، نجد أن العمال الشباب خاصة يحاولون استغلاله في المصنع وتثمين عملهم لأنهم يعرفوا , , يقراو، , فعند مقارنة عملهم مع رفاقهم الكبار في السن، التصور السائد هو أن عملهم مع رفاقهم الكبار في السن، التصور السائد هو أن عملهم حتى وأن كان أقل فهو أحسن، وان من حقهم الاستفادة أكثر من الترقية والتكوين لأنهم يملكون مستوى علمي يؤهلهم لذلك.

ليس هذا فقط بل أن وجودهم في المصنع للقيام بالعمل الانتاجي خاصة يعتبر قمة , , الحقرة، , والغبن لأن انتاجهم (33) أصبحوا اطارات أطباء . . . الخ وبالتالي فانه حتى وان كان يتغيب او يتكاسل في العمل أو أنتاجيته ضعيفة فهو يستحق أكثر من منصب عامل خاصة منتج لأنه كان بإمكانه أن يكون أحسن وهي الرؤية التي تبرز هذه النقدية التي تكلمنا

عنها لدى العامل الشاب الذي جاء للمصنع وفي مخيلته انه سيوجد شبه مركز للتكوين المهني باختصار مكانا للترقية الاجتماعية فان تحقيق هذا المشروع، فقد تحقق، اما اذا لم يتحقق فسيلجأ العامل الى مجموعة من الممارسات النقدية للتعبير عن تذمره لواقعة تبدأ التغيب الى مجموعة من الممارسات النقدية للتعبير عن تذخره ورفضه لواقعة تبدأ التغيب والتهارض وعدم طاعة الأوامر الى الاضراب والعنف . . . الخ .

اذن فالنقدية هذه مصدرها طموحات العامل الشاب وروعيته لمستقبله الشخصي في خضم التحولات العميقة التي عرفتها البلاد وليس مصدرها كما قد يعتقد البعض ذلك المصنع (كأن تكون) الرؤية نورد بعض المؤشرات لقياس ظروف عمل العامل الشاب .

ظروف عمل العامل الشاب .

ففيما يخص بعض مناصب العمل مثلا يلاحظ أن المناصب الأكثر تأهيلا وبالتالي الأقل تعبا والأكثر تثيمنا من الناحية المالية هي من نصيب العمال الشباب ففئة ضابطي الآلات régleur كلها من نصيب فئة السن (25 ـ 39 سنة) نفس الشيء بالنسبة لمنصب Agent technique 3 ، 8 ٪ من المنصب الاجتمالية ، فهي كذلك محصورة في فئة السن المتراوحة بين 25 ـ 34 سنة) .

توقيت العمل مؤثر آخر أخذناه لقياس ظروف العمل المقترحة للعامل الشاب . المعلومات الكمية التي يحوزتنا تقول أن أغلبية العمال تشتغل ظمن الترتيب الليلي (2 × 8 أو 3 × 8) المرهق (33 ، 58 ٪) في حين أن الباقي يشتغلون ظمن التوقيت العادي اليومي (66 ، 41 ٪) فاذا أدخلنا عامل السن مذا نجد ؟

نجد ببساطة أن أغلبية الذين يعملون بالتوقيت الليلي (68 ، 31 ٪ من مجموع 33 ، 58 ٪) تزيد أعمارهم عن 40 سنة . والباقي 39 سنة لايملكون الا 56 ، 26 ٪ ، ليس هذا فقط بل أن العمال الذين يعملون ظمن التوقيت العادي في النهار أغلبيتهم 49 ، 32 ٪ من مجموع 66 ، 41 ٪ تقل أعمارهم عن 39 سنة في حين أن 17 ، 9 ٪ من العمال الذين تزيد أعمارهم عن أربعين سنة يستفيدون من العمل في النهار .

ان هذا المؤشر هو كذلك يؤكد هذه الحقيقة ، ان ظروف العامل الشاب نسبيا هي أحسن من ظروف رفيقه الكبير في السن مع التنبيه هنا أن المقابلات التي أجريناها مع العمال أكدت لنا اصرار العمال الشباب خاصة على المحافظة على عملهم ظمن التوقيت العادي ، فالعامل الشباب غيثور جدا على وقته (34) لدراجة أنه على أستعداد لمغادرة العمل على العمل في التوقيت الليلي .
المؤثر الأخير الذي وضعناه لقياس ظروف عمل العامل الشاب يتعلق بالترقية فهل نجد نفس الفرص في الترقية لدى الفئات العمالية ؟

الجواب بالنفي دائما فالعامل الشاب أكثر استفادة من غيره من العمال من امكانيات الترقية التي وفرها المركب لعماله .

على العموم العمال الذين لم يستفيدوا من أي ترقية أقلية (33، 23 ٪) فقط بالمقارنة مع الـذين أستفـادوا من ترقية واحـدة (33، 28 ٪) والـذين أستفادوا على الأقل من ترقيتين (83، 30 ٪) والذين أستفادوا من ثلاثة ترقيات 5، 12 ٪) والذين أستفادوا من أكثر من أربع ترقيات (5 ٪).

ادخال متغير السن يؤكد مدى أستفادة العمال الشباب من الترقيات في المصنع فالفئة الأكثر استفادة (+ 4 ترقيات) نجدها محصورة في فئة السن المتراوحة بين 20 ـ 39 سنة نفس الشيء بالنسبة لفئة العمال الذين أستفادوا من ثلاة ترقيات (32، 8 ٪) من مجموع 5، 12 ٪ تقل أعـمارهم هن 39 سنـة أن هذه النسب تزداد وضوحا اذا عرفنا أن العمال الكبار في السن يملكـون أقـدمية أكبر ومع ذلك فاستفادتهم من الترقية تكون ايضا عادة أقل من رفاقهم الشباب، فالعامل الذي يملك فرص أكثر في الأستفادة يكون عداة من العمال ذوي الانتاجية الضعيفة والحركة الكبيرة، مما يجعله يظهر الأكثر فيقترح للتكوين الذي يؤهله للترقية وهي كلهـا صفات يتصف بها العمال الشباب فلكي ياخلص منهم المسؤولين المباشرين يبعثون بالعمال , , المشوشين، ، ذوي الانتاجية الضعيفة كثيرة الشغب الى التكوين للاستفادة من الترقية بعد ذلك.

في حين أن العامل الكبير في السن المهادن وذو الانتاجية المرتفعة يتمسك به المسؤولون، فلا يستفيد من أي تكوين ولامن أي ترقية، انه منطق المصنع الجزائري المعكوس.

ان هذه الفـروق في المعـاملة هي التي تجعـل كما لاحضنا ذلك العلاقات بين الفئتين العماليتين (الشباب الكبار في السن) ليست على مايرام دائما، خاصة في فرات النزاع أين يظهر الصراع وتتبادل التهم بين الطرفين فالعمال الصغار عادة ما يتهمون كبارهم بانهم يقبلون بظروف العمـل السيئـة ولايتحـركون فيما فيه الكفاية للدفاع عن أنفسهم مما يجعلهم هم وحدهم الذين يقومن بذلك كاأن انتاجية العمال الكبار تجعل ضعف انتاجية الشباب نلاحظ من قبـل المسؤولـين لمباشرين التأهيل أما العمال الكبار في السن فعادة مايتهمون الشباب بضعف النتاجية وبالمطلبة الكبيرة , ,على كروشهم يخلون عروشهم، ، أو , , لاكانو في وقت الاستعمار لباعو البلاد بابخس الاثمان، ، . . . الخ.

اذن أختلاف الممارسات الاجتماعية تؤدي في النهاية في سؤ العلاقات بين الفئات العمالية.

الخلاصـــة :

ماهي الأستنتاجات التي يمكن تقديمها كخلاصة لهذه المحاولة التي قمنابها لدراسة علاقة العامل الشاب بالعمل الصناعي في الجزائر ؟

لعل أول هذه الأستنتاجات هو أن دراسة العامل الشاب وعلاقته بالعمل الصناعي هو في نهاية الأمر دراسة للطبقة العاملة الجزائرية الحديثة التي ظهرت بعد الأستقلال خاصة ظهورها هذا الذي كان في ظروف خاصة ميزت المجتمع الجزائري فعلى المستوى الاقتصادي كانت هذه الفترة على العموم فترة رخاء أقتصادي ، حتى وان كانت عملية الاستفادة من هذا الرخاء الاقتصادي لم تكن ,, عادلة ،، في مجتمع احدي ميزاته الخلقية العدل الذي أخذ محتوى اجتماعي بارز في هذه الفترة على حساب القيم الأخرى (سياسة مثلا) .

من ميزات هذه الفترة كذلك نوعية النظام السياسي الحاكم ، نظام شعبوى رافض لكل استقلالية طبقية ، مما جعل هذه الطبقة العاملة ، ومن ورائها العامل الشاب كود كل تجربته المطلبية الاجتماعية ف غياب التنظيم النقابي المستقل هذه الميزة التي أتسمت بها كل الحركة المطلبية العمالية من رفض لقيم التنظيم والنزعة الفوضية .

ان هذا الوضع غياب تنظيم النقابي على رأسها .
قد وضع على كاهل العامل الشاب مسؤوليات كبيرة :
قيادة الحركة العمالية المطلبية دون أن يكون مؤهلا للقيام بذلك مما جعله يترك بصماته على تجاري هذه الحركة العمالية .

هذه التأثيرات التي تعاظمت أكثر في غياب الحوار مع الجيل الكبير من العمال الذي يملك رؤية مختلفة عن تلك التي يملكها العالم الشاب ، فالعامل الكبير في السن يبدو وكأنه غير معني بالوضع العالي ولايطمح في الاستفادة من فترة الأزدهار الاقتصادي التي عرفتها الجزائر مثل العامل الشاب ، وكأنه قد حقق كل طموحاته في ماضية على عكس العامل الشاب الذي يرفض واقعه مكانة العامل المعطاة له في المجتمع الجديد ويطمح لمستقبل ليراه صعب المنال .

من الأستنتاجات كذلك التي يمكن الحديث عنها وطرحها لمناقشة أن العامل الشاب كما رأينا ذلك لم يكتسب هذه الروح النقدية من داخل المصنع على الأقل لا يمكن تبرير هذه الروح النقدية لظروف عمل سيئة بل أكتسبها خارج المصنع أو بالأصح من خلال رؤية للعمل الصناعي والمصنع وموقعه الاجتماعي فيه الذي يرفضه .

اذن فقد أختار العامل الشباب المصنع التابع للدولة للتعبير عن هذه الروح النقدية ، وقد تم تجسيد ذلك بقوة اثناء حداث أكتوبر 88 التي شهدت اضرابات كبيرة جدا لم تمس الا القطاع العام وهو الي‌ء الذي يؤكد هذه الراية قالقطاع العام هنا يمثل الدولة والسياسي الذي لابد من التعبير عن رفضه له في هذه المكان التابع له بالذات * وليس مكان آخر في الوقت الحالي والى وقت قريب ، لأننا نلاحظ أن العامل الشاب بدأ في ربط خيوط الحركة العمالية المطلبية مع الحركة الاجتماعية العامة وبالتالي فقد بدأت قضاءات التعبير الاحتجاجية تتوسع

وتتكاثر وتأخذ أبعاد أخرى (الشارع، المسجد، الملعب) قد تكون أكثر جذرية ونقدية ولقد كان أكتوبر 88 مثالا حيا لذلك.

NOTES

1 ـ عمال مركب رويبة قامو باضراب في 5 سبتمبر 82 كانت نتائجه تدخل الشرطة بقوة كبيرة كما قاموا باضرابات في نهاية سبتمبر 88 كانت الشرارة العمالية الأولى لاحداث أكتوبر 88 في الجزائر.

2 ـ نسبة حوادث السيارات في المدن الكبرى تؤكد ذلك، فنسبة كبيرة من الحوادث تقوم بها سيارات حذيقة وفخمة، وسائقها عادة ما يكون صغير السن ويسكن في المد انها كلها مؤشرات دالة على أبن العائلة الغنية حدثا.

3 ـ من الصفات التي تردد على أفواه الشباب أنا ضايع.

4 ـ أنظر

1) MUSETTE SAID M. BEDRANI S.

Le chomage et l'emploi des jeunes en Algérie – sept 89.

2) MUSETTE SAID M. : La jeunesse algérienne : situation et perspectives juillet 89

5 ـ ربما هذا الوضع هو الذي يسهل العمل للتيار الديني المتطرف والأوساط الشعبية القريبة منه لكي تنادي بالمطالبة برجوع المرأة الى المنزل لكي تترك مكانها للشباب

6 ـ أنظر الدراسة العربية المقارنة التالية 0

FATIHA HAKIKI – TALAHITE : Crise du salariat et chomage des jeunes dans les pays arabes in quel emploi pour les jeunes : sous la direction d'Alain touraine, Unesco 1988.

7 – جميع الاحصائيات المتعلقة بالتوظيف الوارداة من هذه الفقرة استمدبناها من المرجع التالي)

8 ـ معتمد خصوصا على الدارسة التالية التيقام صاحبها بتلخيص الجزء الكبير من الدراسات على الظاهرة.

Les ouvriers divisés : presse de la fondation national de science politique -aris : (1981(PIERRE DU BOIS :

9 ـ نفس المرجع المذكور أعلاه ص 168.

10 ـ أنظر الدراسة التالية التي ذكرها المرجع السابق ص 168.

BERNOUX (P.), MOTTE (D) : trois atelierrs d'os. Paris : les éditions ouvriers (1973)

11 ـ كتغير عن الدراسات التي تنطلق من هذه الفرضية.

ROUSSLET I. L'Allergi au travai Paris : ED. Seuio (74)

12 ـ لبمرجع المذكور باسم المولف ص 173

13 ـ على سبيل المثال دراسة السيدة بيرو حول الاضرابات في فرنسا

Perrot M. : Les ouvriers en grève : France 1871 - 1890 ED. MOUTON :1973;. 2 tomes.

14 ـ 17 ٪ من المعرضين كانت أعمارهم تتراوح بين 15 ـ 34 سنة.

أنظر المرجع المذكور أعلاه ص 450 ـ 483

15 ـ جمال قريد : العامل الشائع : عناصر للاقتراب من الوجه الجديد للعامل الصناعي الجزائري بحث قدم مناسبة اليمومين الدراسيين (10ـ11 ديسمبر 83 حوف التصنيع والتثقيف المركزالهوي للتنمية بوهران

16 ـ نفس المرجع المذكور أعلاه.

17 ـ نفس المرجع المذكور أعلاه.

18 ـ نفس المرجع المذكور أعلاه.

19 ـ أطروحة الدكتوراه تحت عنوان ص 58.

CHIKHI : Questions ouvrières et rapports sociaux en Alérie. Thèse de doctorat Paris 86.

20 ـ نفس المرجع ص. 141

21 ـ جيلالي اليابس ظمن أطروحته للدولة تحت عنوان ص. 529

entrpreneurs et élements d'une sociologie de l'entreprendre thèse de Doctorat Paris 88.DJILALI LIABES : Entreprise,

22 ـ دراسات حول النزاعات العمالية في الجزائر

مساهمة في سوسيولوجية النزاعات العمالية، الاضرابات العمالية في الجزائ 69ـ86.

أطروحة لنيل دكتوراه الحلقة الثالثة (87ـ88)

23 ـ نفس المرجع ص. 70

24 ـ نفس المرجع ص. 80

25 ـ أنظر العدد الخاص لمجلة المركز حول اليوم الدراسي العام يو 6 جانفي 68
Les cahiers du CREAD : expérience industrielle et recherche universitaire :g 9 1987
le cas du CVI de Rouiba : Ng 9 1987.

26 ـ نفس المرجع المذكور أعلاه ص. 75

27 ـ من خلال بحثنا حول هذا الموضوع يتبين لنا أن سبب هذه الحركة المطلبية كان المسؤولون يفسرونه باليد العالمة المهاجرة التي وظفوها في بداية السبعينان لكن الوضع أنقلب وتحول التفسير الى الشاب بعد ذلك.

28 ـ أمظر دراستنا حول النزاعات العمالية المذكر المراجع ص 134ـ145

29 ـ أنظر بعض هذه المعلومات في العدد الخاص من مجلة مركز الدراسات والبحوث التطبقية.
Les cahiers du CREAD : expérience industrielle et recherche universitaire
le cas du CVI Rouiba ng 9 1987

30 – أنظر دراستنا حول الاضرابات العمالية المذكورة سابقا. الفصل الثالث ص 8170

31 ـ كلمة جزائرية بمعنى جبلهم من سنهم.

32 ـ لاحظنا اضرابا حصل في مركز ACO أين قام العامل الشباب باضراب وبعد اصرار الادارة على التوقيت الجديد (2 × 8) فقد أستقل عدد كبير نسبيا (حوالي 7 عمال من مجموع العمال 17 المكونين للمركز وكان ذلك في سنة جوان 1985.

* أنظر مقالتنا) الحركة الاجتماعية والحركة العمالية ـ حالة أحداث أكتوبر 88 المقدمة لندوة جامعة أوبسالا (السويد) 26 ـ 29 أكتوبر 89 بالسويد.